سلسلة كتيبات شبكة بينونة

ولا تفرقوا

الشيخ د. عبدالرحمن بن سلمان الحمادي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

ولا تفرقوا

ولا تفرقوا

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ من لا نبي بعده، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ ومن اتَّبع هديه؛ أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الأَحِبَّة مستمعينا الكرام؛ حديثنا في هذِه الليلة بعنوان: (ولا تفرَّقوا)

والحديث متصلٌ بحديثنا السابق في المحاضرة السابقة حول خطورة التَّحَزُّب، حيث بَيَّنَّا سابقًا أنَّ التَّحَزُّب يؤدي إِلَىٰ التَّفَرُّق والاختلاف، وهو مُحرَّمٌ منهيٌّ عنه، وذكرنا دليل التَّحْرِيْم في قول الله: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣]، فأمر الله عَزَّوَجَلَّ بالاعتصام والاجتماع، ونهيه عَزَّوَجَلَّ عن التَّفَرُّق واضحٌ من الآية، بل إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عدَّ الاجتماع والأخوة

نعمةً؛ إشارة إِلَىٰ أنَّ التَّفَرُّق والاختلاف نقمة، وحديثنا الليلة في موضوع النَّهَي عن التَّفَرُّق سنفصِّل القول فيه بما يفتح الله علينا فيه.

فنقول -وَبِاللهِ التَّوْفِيْقُ-: إنَّ التَّفَرُّق بين النَّاس له أسبابه ودواعيه، وأهم أسبابه:

- **الاختلاف في الفكر والرأي والاعتقاد، وهو أنواع:**

فمنه: الجائز بحدوده وضوابطه.

ومنه: غير الجائز، وهو الَّذِي يؤدي إِلَىٰ التَّفَرُّق والتنازع والتقاطع بين النَّاس، والبعد وترك الحق.

وإنَّ التَّفَرُّق بسبب الاختلاف المذموم بين النَّاس واقعٌ في تقدير الله عَزَّوَجَلَّ، ووقوعه قدرًا ليس بدليل عَلَىٰ جوازه شرعًا، وقد دلَّ عَلَىٰ هذَا المعنىٰ قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] أي:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ ممن لم يقع في الاختلاف، فبيَّن عَزَّوَجَلَّ أنَّ عدم الاختلاف رحمة وليس العكس، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، في تقدير الله عَزَّوَجَلَّ وإرادته الكونية، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾،فرحمة الله عَزَّوَجَلَّ وإرادته الشَّرْعِيَّة: ألَّا يكونوا مختلفين.

قَالَ الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَأَهْوَائِهِمْ عَلَىٰ أَدْيَانٍ وَمِلَلٍ وَأَهْوَاءٍ شَتَّىٰ، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، [هود: ١١٩]، فَآمَنَ بِاللهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ» -والكلام له- «وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَتْبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]»، قَالَ: «فَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ أَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ ذِكْرِ خَبَرِهِ عَنِ اخْتِلَافِ النَّاسِ، إِنَّمَا

هُوَ خَبَرٌ عَنِ اخْتِلَافٍ مَذْمُومٍ يُوجِبُ لَهُمُ النَّارَ» انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَهذَا التفسير منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتسق مع حديث الافتراق الثابت عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما جاء فيه من وعيد بِالنَّارِ لجميع الفرق والأحزاب المخالفة للهدي الَّذِي كان عليه رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، عندما قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « **كُلّها في النَّار إِلَّا واحدة** »(١).

ومن أوضح الأدِلَّة أيضًا عَلَىٰ تحريم التَّفَرُّق وَالنَّهي عنه: ما في قول الله سُبْحَانَهُ في الآية آنفة الذِّكْر: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وإذا سألنا أنفسنا: لماذا النَّهي عن التَّفَرُّق؟ ولماذا كان الائتلاف نعمة؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه سنن ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد في مسنده مسند (١٦٩٣٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (٣٩٩٣).

يجيبنا عن هذَا التساؤل الإمام المفسِّر عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قَالَ: «**فإن في اجتماع المسلمين علىٰ دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف علىٰ الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعىٰ في شهوة نفسه، ولو أدىٰ إلىٰ الضرر العام**» انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ إذًا فبالاجتماع عَلَىٰ هذَا الدين وعدم التَّفَرُّق فيه يكتسب المسلمون به قوَّةً ونماءً.

ومن الأَدِلَّة أيضًا عَلَىٰ النَّهي عن التَّفَرُّق: ما جاء في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، قَالَ الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد».

ومن الأَدِلَّة أيضًا عَلَىٰ النَّهي عن التَّفَرُّق: ما جاء في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن التنازع، مُبَيِّنًا سُبْحَانَهُ أثرًا من آثاره المفضية إِلَىٰ ذمِّه، وهو ماذا؟ وهو: ما يفضي إليه وينتج عنه من أمرٍ مذمم، وهو: الفشل والضعف، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾.

قَالَ الطاهر ابن عاشور: **«وَلَمَّا كَانَ التَّنَازُعُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْشَأَ عَنِ اخْتِلَافِ الْآرَاءِ، وَهُوَ أَمْرٌ مُرْتَكِزٌ فِي الْفِطْرَةِ بَسَطَ الْقُرْآنُ الْقَوْلَ فِيهِ بِبَيَانِ سيّىء آثَارِهِ، فَجَاءَ بِالتَّفْرِيعِ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾،**

فَحَذَّرَهُمْ أَمْرَيْنِ مَعْلُومًا سُوءُ مَغَبَّتِهِمَا: وَهُمَا الْفَشَلُ وَذَهَابُ الرِّيحِ» أي: القوة.

قَالَ الإمام الشنقيطي: **«نَهَىٰ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا **الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنِ التَّنَازُعِ، مُبَيِّنًا أَنَّهُ سَبَبُ الْفَشَلِ، وَذَهَابُ الْقُوَّةِ، وَنَهَىٰ عَنِ الْفُرْقَةِ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ:** ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾**»** انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد جاء في السُّنَّة النَّبويَّة النَّهي عن التَّفرُّق والاختلاف، كما في صحيح البخاري من حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**سمعت رجلًا قرأ آيةً، وسمعت النَّبيّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقرأ خلافها، فجئت به النَّبيّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية**»، قَالَ الصحابي ماذا؟ قَالَ: «**فعرفت في وجهه الكراهيَّة**»، وَقَالَ: «**كلاكما محسنٌ ولا تختلفوا، فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**».

وَالنَّهي عن الاختلاف واضحٌ من الحديث من

فعله وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف ذلك؟ الصحابي ماذا قَالَ؟ «**فعرفت في وجهه الكراهية**» هذَا فعل من النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه كره هذَا الاختلاف وَالتَّفَرُّق، فكراهية الاختلاف وَالتَّفَرُّق ظهرت فعلًا عَلَىٰ وجهه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا بقوله؛ فنصُّ الحديث عندما قَالَ: «**لا تختلفوا، فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا؛ فهلكوا**»؛ إذًا هذَا الحديث دلَّ بفعل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله عَلَىٰ النَّهَي عن التَّفَرُّق والاختلاف.

وعند البخاري أيضًا عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث معاذًا وأبا موسىٰ إِلَىٰ اليمن وَقَالَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا بعثهما: «**يَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[٢] فأمر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّطَاوعِ والاتفاق، ولم يكتفِ

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه سنن ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد في مسنده مسند (١٦٩٣٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (٣٩٩٣).

به عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ نهاهم عن الاختلاف، فَقَالَ: «**تطاوعا ولا تختلفا**» أكَّد الأمر بِالاتِّفَاقِ بالنَّهَي عن الاختلاف.

ومن الأَدِلَّة أيضًا: ما رواه أصحاب السنن، وصححه جمعٌ من الأئمة، عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»[٣]، وورد بلفظ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[٤]، فقد بيَّن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الأُمَّة ستفترق بإرادة الله وتقديره الكوني، وبيّن عَلَيْهِ السَّلَامُ السبيل إِلَىٰ النجاة من هذَا الافتراق، وهو:

---

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٧٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٣٨).

لزوم سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه أصحابه الكرام.

وفي صحيح الإمام مسلمٍ عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليلٌ آخر عَلَىٰ أنَّ الافتراق والاختلاف حاصلٌ في هذِه الأُمَّة، ومن أسبابه: ترك سنَّة النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ سبيل النجاة مرهونٌ بترك التَّفَرُّق ولزوم الجماعة، وَاتِّبَاع سنَّة النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ:

«نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَىٰ إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» ماذا قَالَ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَىٰ أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ»(٥).

وفي رواية أُخرىٰ لمسلم أيضًا من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيها أنه قَالَ: «قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ:

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٤٥٩٧)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤٥٩٧).

«تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[٦]».

هذَا بيانٌ من النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبيِّن فيه حال آخر هذِه الأُمَّة، وفيه وصيَّة واضحة وصريحة: بوجوب ملازمة جماعة المسلمين، وإن لم تكتمل سماتهم واستقامتهم عَلَىٰ الدين، ولا أظن أحدًا ينكر هذَا المعنىٰ من الحديث، إِلَّا من أراد لويه وتأويله عن ظاهره -عافانا الله جميعًا وَإِيَّاكُمْ من ذلك-، فيوصينا عَلَيْهِ السَّلَامُ بالسمع وَالطَّاعَة، وإن صدر من الإمام الضرب، وأخذ الأموال من الرعية، فهل هناك أعظم ظلمًا من هذَا؟ ومع ذلك فالسمع وَالطَّاعَة ولزوم الجماعة واجب.

وَالنَّبِيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبِر عن حال الأُمَّة في آخرها بما يعني: أنَّ الظلم يعمُّ في وقتها والدين يضعُف، فلا يأتِ آتٍ

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٤١) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ»، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٦٤١).

ويقول: إنه يقصد بالإمام من كمُل دينه واستقام عليه؛ فإنه سيناقض نفسه ويتهم صدق النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حيث لا يدري، لماذا؟ لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر بأنه سيكون هناك أئمة يجتمع النَّاس حولهم في زمن يضعف فيه الدين في نفوس الجميع إِلَّا من رحم ربك، وذكر من وصفهم: «**لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**»، ثُمَّ قَالَ مع هذه الأوصاف الَّتِي تدل عَلَىٰ أن الدين يضعف، قَالَ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**».

ونحن -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- لم تصل بنا الحاجة إِلَىٰ الاعتزال والعض عَلَىٰ أصل شجرة، فبفضل الله جَلَّ وَعَلَا نستظل تحت ظل جماعة شرعيّةٍ مُعتَدٌّ بها شرعًا، تحت إمرة رئيس دولتنا صاحب السمو الشيخ/ خليفة بن زايد وَفَّقَهُ اللهُ، وألبسه لباس الصحة

والعافية، وكذلك سائر بلاد المسلمين، كل دولة تمثل جماعة مستقلة من جماعة المسلمين يجتمعون عَلَىٰ إمامه ورئيس دولتهم.

ولو سلَّمنا مع هذَا المُشَغِّب، ولو سَلَّمنا معه جدلًا بعدم الاعتداد بهذه الدول؛ فإنه واضحٌ من الحديث: أنَّ العمل حينها هو العكس مِمَّا ذهب إليه دعاة التَّحَزُّب والانتماءات السِّرِّيَّة ودعاة التَّفَرُّق والضلال، الَّذِينَ يسوغون التَّفَرُّق والانفصال عن الجماعة المسلمة الظاهرة إِلَىٰ فرق وأحزاب، فكان التوجيه النبوي الحكيم عَلَىٰ العكس من ذلك، فقد جاء بالأمر باعتزال الفرق، وليس اللجوء إليها، بل يبلغ الأمر باعتزال الفرق إِلَىٰ درجة أن يصل الحال بالمسلم إِلَىٰ العض عَلَىٰ أصل شجرة حَتَّىٰ يدركه الموت وهو عَلَىٰ ذلك، وَهذَا التشبيه من بديع قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبليغه، الَّذِي يرشدنا إِلَىٰ اعتزال الفرق، ومن باب أولىٰ تحريم

إيجادها والترويج إليها.

والسؤال الَّذِي يطرح نفسه لدعاة التَّحَزُّب وَالتَّفَرُّق: أين موقفكم من هذَا التوجيه النبوي الحكيم؟

ومن الأحاديث الدَّالَّة عَلَىٰ الأمر بالاجتماع وَالنَّهَي عن التَّفَرُّق: ما جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ**»[٧]، والحديث عند الترمذي وغيره، وفي القرآن كثير من الآيات الَّتِي تؤكد عَلَىٰ هذَا المعنىٰ، وقد قدمناها.

والمعنىٰ من هذِه الآيات والأحاديث: هو لزوم جماعة المسلمين اعتقادًا وائتمارًا خلف من اجتمع النَّاس عليه من ولاة الأمر، وَحِينَئِذٍ فإنه لَا شَكَّ أنهما يدعوان، أي: إِلَىٰ تعزيز مظاهر ذلك الاجتماع، وقد بيَّن النَّبِيّ

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٤٧).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الَّذِي تقدم معنا آنفًا علَّة الأمر بالاجتماع وَالنَّهي عن الفرقة فَقَالَ: «**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ**»، قَالَ الإمام الصنعاني: «**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ يضله ويغويه، ويعده ويمنيه** «**وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ**» **فكيف من كان مع الجماعة؟**» انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالشيطان إذا خلا بالإنسان يوشك أن يوسوس فيه، وأن يوقعه في الفتن، لاسيما في هذَا الزمن، حيث كثرت الفتن وتنوعت:

فمنها: فتن الشهوات الَّتِي يقع بسببها الشباب في المُحرّمات، كالمخدرات ونحوها من المعاصي.

ومنها: الفتن الَّتِي تشكك في المعتقد الصحيح، كما في قضايا السمع وَالطَّاعَة والاجتماع ونبذ التَّفَرُّق، وتنَفِّر من ولاة الأمر، فيصير لقمة سائغة بالأفكار

الدخيلة والآثمة الَّتِي تكفر المجتمعات، وتستحل دماء المسلمين الآمنين وأموالهم، فكم هي فرصة سانحة لمن يتربص بأمن دولتنا واستقرارها في أن ينفرد بمن ينعزل عن المجتمع، فيغذيه بالأفكار المنحرفة، وكم أنَّ للاجتماع والتآلف سبيلٌ لقطع دابر هؤلاء المفسدين.

وحيث كان الاجتماع بهذا النفع والمردود الحسن عَلَىٰ المجتمع؛ فإنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أكَّد حتميَّة هذَا الاجتماع بغاية عظيمة وعاقبة حميدة يرجوها كل مسلم، ألَّا وهي: دخول الجَنَّة، كما في الحديث المتقدم: «**مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ**»، قَالَ الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والمراد: أنَّ لزوم الجماعة سببُ الكون في بحبوحة الجَنَّة؛ لأنَّ يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ؛ شَذَّ إِلَىٰ النَّار كما ثبت في الحديث**» انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ بمنِّه وكرمه أن يحفظ لنا ديننا ودنيانا وأمننا واستقرارنا، وأن يمُنَّ علينا بالعافية من كل بلاء، وأن يقينا شر الأحزاب ودعاة التَّفَرُّق.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ ومن اتّبع هداه.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية